(٩٣)

(السيد إسْماعيل بن عليّ بن حَسَن ابن أحمد بن حَميد الدين بن مُطهر ابن الإمام شرف الدين)

ولد في سنة ١١٣٣ ثلاثٍ وثلاثين ومائة وألف، بصنعاء، ونشأ بها فقرأ على جماعة من أعيانها، منهم السيد العلَّامة مُحمَّد بن إسْماعيل الأمير، والسيد يُوسُف العجمي، وجماعة آخرين في علم العربية وغيره، ودرَّس وأفاد، وهو من السادة القادة النجباء الكملاء والعقلاء، وفيه مروءة وفتوة، وحسن أخلاق، وملاحة محاضرة، وجودة بادرة، وحفظ الأخبار النادرة والأشعار الرائقة. وقد مال إليه مولانا الإمام المنصور باللَّه عليّ بن العبَّاس حفظه اللَّه، فصار يدعوه إلى مقامه في كثير من الأوقات ويجالسه، وكثيراً ما يقع الاجتماع بيني وبينه هنالك. أما في يوم الجمعة للحضور عند الخليفة حفظه اللَّه للعشاء والقهوة، فعلى سبيل الاستمرار ويجري بيننا هنالك من المذاكرات الأدبية والعلمية ما تشنف الأسماع، وهو يورد ما يطابق المقام ويوافق مقتضى الحال، ويبحث معي في كثير من المعاني الدقيقة والطرائق الرقيقة والأخبار الرشيقة. وفيه من سُموُّ الهمة وعزّة النفس ما لا يقدر عليه غيره لا سيما في مثل هذه المواطن التي يظهر فيها جواهر الرجال، فإني لم أسمع منه على طول مدة اجتماعي به هنالك كلمة مؤذنة بالخضوع لمطلب من مطالب الدنيا، لا تصريحاً ولا تلويحاً، بل يستطرد في كلامه قصصاً ووقائع فيها مواعظ، لها وقع في القلوب قاصداً بذلك التعرض للثواب الأخروي، وقد صار حال تحرير هذه الأحرف وهو سنة (١٢١٣) في ثمانين سنة. وله نشاط تام إلى الحركة وركوب الخيل التي يهاب ركوبها أكثر الشباب. فإن مولانا حفظه اللَّه يركبه على خيله المعدة لركوبه عليها في كثير من الحالات ولم ينقص شيء من حواسه الظاهرة والباطنة إلَّا مجرَّد ثقل يسير في سمعه، وهو مواظب على الطاعات يعين الضعفاء بما يقدر عليه من ملكه أو بالشفاعة. ثم (مات) رحمه اللَّه في شهر شوَّال سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف. وولده (عليّ) له شغلة بالعلم كبيرة وعناية تامة، قرأ في الآلات على أعيان علماء العصر، ورافقني في قراءة الكشاف والعضد والمطول وحواشي هذه الكتب على شيخنا العلَّامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وهو الآن مكبٌّ على الطلب ملازم لمعالي الرتب. وله قراءة على السيد العلَّامة شرف الدين بن إسماعيل بن مُحمَّد بن إسْحاق، وربما قرأ عليه بعض الطلبة في الآلات. وله من حسن الأخلاق ولطافة الطبع وبشاشة الوجه للخاص والعام ما لا يقدر عليه غيره. وهو حال تحرير هذا مناهز للخمسين، وأخبر لي أن مولده في سنة ١١٦٦ ستٍّ وستين ومائة وألف. وولده (حسن بن عليّ بن إسْماعيل) قد صار من الطلبة المستفيدين، له اشتغال

بالفقه وعلم العربية وسائر العلوم، وهو كأبيه وجده في حسن الأخلاق واللطافة والظرافة، و(مات) رحمه اللَّه في سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف قبل موت جده بأشهر، وهو في عنفوان شبابه.

٩٤

(إسْماعيل بن عليّ بن محمود ابن مُحمَّد بن عُمر بن شاهنشاه بن أيوب)[١]

الملك المؤيد صاحب حماة. ولد سنة (٦٧٢) اثنتين وسبعين وستمائة، وأمره الناصر فخدمه لما كان بالكرك فبالغ. فلما عاد الناصر إلى السلطنة وعده بسلطنة حماة، ثم سلطنه بها، يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغير ذلك ولا يؤمر ولا ينهى. أركبه الناصر شعار المملكة والسلطنة ومشى في خدمته أكابر أمراء الناصر فمن بعدهم، واستقر بحماة، ثم قدم إلى مصر على السلطان الناصر في سنة (٧١٦) فبالغ السلطان في إكرامه. ثم قدم مرة أخرى فحج مع السلطان سنة (٧١٩) فلما عاد عظم في عين السلطان، لما رآه من آدابه وفضائله وألبسه بعد العود شعار السلطنة وبين يديه جميع خواص الناصر وسائر الناس. ومشى السلحدار بالسلاح والدويدار الكبير بالدواة والغاشية والعصايب وجميع دست السلطان بين يديه. وكان جملة ما وصل إلى أهل الدولة بسببه في هذا اليوم مائة وثلاثين تشريفاً منها ثلاثة عشر أطلس. وكان يزور السلطان في كل سنة غالباً ومعه الهدايا والتُّحف، وأمر السلطان جميع النواب أن يكتبوا إليه: يقبل الأرض، وهذا لفظ يختص بالسلطان الأعظم. وكان الناصر نفسه يكتب إليه ذلك. وكان جواداً شجاعاً عالماً بفنون عدة لا سيما الأدب فله فيه يد طولى، نظم الحاوي في الفقه، وصنّف تاريخه المشهور، ونظم الشعر والموشحات، وكان له معرفة بعلم الهيئة، قال ابن حجَر في «الدرر الكامنة»: ولا أعرف في أحد من الملوك من المدائح ما لابن نباتة، والشهاب محمود، وغيرهما فيه إلّا (سيف الدولة). وقد مدح الناس غيرهما من الملوك، لكن اجتمع لهذين من الكثرة والإجادة من الفحول ما لم يتفق لغيرهما، وكان يحب أهل العلم ويقربهم. وكان لابن نباتة عليه راتب في كلّ سنة يصل إليه سوى ما يتحفه به إذا قدم عليه، وكان الناصر يكتب إليه (أعز اللَّه أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي) وهذا وهو نائب من نوابه. وكان نائب الناصر في الشام، وهو أكبر النواب يكتب إلى صاحب الترجمة: يقبل الأرض، وأما غير نائب الشام فيكتب إليه: يقبل الأرض وينهى.

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/ ٣٧١؛ شذرات الذهب: ٦/ ٩٨؛ النجوم الزاهرة: ٩/ ٢٩٢؛ فوات الوفيات: ١/ ١٦؛ البداية والنهاية: ١٤/ ١٦٦؛ كشف الظنون: ٤٦٨، ١٣٧٤، ١٦٢٩؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٣٨٢؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٢٨٣؛ الأعلام: ١/ ٣١٩.